اجتهادات
صعوبات ترشيد الرأسمالية

نشأت الرأسمالية نتيجة تطور اقتصادى طبيعى مع دخول النظام الإقطاعى وأشباهه فى حالة شيخوخة عجلت بها حركة الكشوف الجغرافية منذ مطلع القرن الخامس عشر، وليس استجابة إلى فكرة أو نظرية أو أى عمل من أعمال العقل.وعندما بدأ العقل الإنسانى يتحرر من أسر جمود القرون الوسطى، سعى إلى ملاحقة التطور الرأسمالى. وجاءت المحاولة العقلية الأولى فى كتاب آدم سميث (ثروة الأمم) قبل أن تظهر قسوة الرأسمالية وانفلاتها من القيم الإنسانية التى انشغل العقل الحداثى التنويرى بها فى القرن الثامن عشر. لم تكن آثار الثورة الصناعية على العمال, الذين سُحقوا تحت آلاتها المُخترعة لتوها، قد ظهرت عندما أُصدر ذلك الكتاب. وما أن تجلت هذه الآثار حتى بدأ السعى لتطعيم الرأسمالية بشىء من القيم الإنسانية كما فعل سان سيمون مثلا فى كتابه (الصناعة) عام 1816 وكتابات أخرى، أو البحث عن بدائل لها بعضها جذرى من النوع الذى طرحه كارل ماركس ومن نهجوا نهجه، أو محاولة ترشيدها من داخلها كما فعل كارل كاوتسكى ومن ساروا فى طريق قادت إلى نمط رأسمالى مختلف (رأسمالية لها قلب) أُطلق عليه ديمقراطية اجتماعية أو اشتراكية. وبينما أخفقت محاولة استبدال الرأسمالية، واجهت مساعى ترشيدها عبر تطعيمها بقيم انسانية صعوبات مرتبطة بمتطلبات التوازن بين العوامل المادية وقواعدها اللازمة للإنجاز الافتصادى، والقيم وما يرتبط بها من سياسات اجتماعية. نجح العقل المهتم بالقيم فى إيجاد هذا التوازن بدرجة ما بين الثلاثينيات والسبعينيات فى القرن الماضى من

خلال صيغة دولة الرعاية أو الرفاه، تأسيسًا على نظرية ميرنارد كينز الذى بلور أفكارًا كانت متناثرةً قبله وطورها. ولكن هذا النجاح لم يستمر, إذ تصدر الوجه الآخر للعقل غير المعنى بالقيم المشهد منذ أواخر السبعينيات مستغلاً اختلال صيغة التوازن تلك بفعل تطورات اقتصادية مكنت من ترويج أن هذه القيم تعوق حركة الاقتصاد وتؤدى إلى تبديد موارد ضرورية للتوسع والانتعاش. ولكن هذه ليست نهاية التاريخ. إذ يواصل العقل المؤمن بالقيم الإنسانية معركته الصعبة فى مواجهة المستفيدين من تغييب هذه القيم.